ومن تلك الألواح ما يمثل موسى عليه السلام طفلاً تخرجه من اليم ابنة فرعون وقد ذهبت مع جواريها تغتسل في النيل فوجدته عائماً في سفط يتغلغل بين أوراق البردى ، وإلى جانبها جاريتان تحمل إحداها صندوقة صغيرة تشتمل من أدوات الطيب على مالا غنى للمغتسل عنها ، وهى عادة مصرية قديمة

كانت كنائس اليهود قبل عهد هذا الكنيس لا تستوعب أكثر من ٤٥ مصلياً ، ولكن قاعة هذا الكنيس المستطيلة تستوعب ضعف هذا العدد ، أى نحو مائة من المصلين ، فقد كانت أبعادها (١٣,٥ متراً طولاً في ٧,٥ عرضاً في ٧,٥ ارتفاعا)

ومما يدل على أبهة هذا الكنيس النفيس أن محرابه القائم في صدره قد كان يزهو بطنافس فارس الجميلة ، وتبصر على جانبه صورة شمعدان من الذهب ذى سبع شعب ، فى كل شعبة منها شمعة تبدد بعض ظلام الكنيس ؟ وكانت مقاعد المصلين مُغَشَّاةً أيضاً بالطنافس كما استدل علماء الآثار على أن سماءه (سقفه) كانت مشيدة بالقرمد المزين المنقوش ، وكانت أرضه مفروشة أيضاً بنفائس الطنافس

هذا ولئن كانت الأمم تقاس برجالها ، والرجال توزن بأعمالها ، فقد حقّ علينا أن نختم هذه الكلمة بكلمة أخرى عادلة فى شكر من كان سبباً لحفظ هذا الكنيس فى بلادنا ولاعادة بنائه فى دمشق غداً ، وهو صاحب المعالى وزير معارفنا الهمام السيد حسنى البرازى ، فقد حاولت بعثة الحفر والتنقيب الأمريكية أن تستأثر به وتحرم من الانتفاع به تلك الأمة التى نُبيش من ترابها ، ليُنبئ عن عمرانها وأحوال أديانها وآدابها ، وكادت تفلح لولا جهاده الميمون وحسن مساعيه لدى الفوضية التى حققت بأخرة أمنيته ، تخدم بذلك أجلّ خدمة بلاده وأمته : ذلك لأن هذا الكنيس المنقطع القرين لم تفتح العين على مثله بعد ، ولهذا يقدر بعض علماء الآثار ثمنه بأكثر من مليون جنيه ، ويعدونه استثناءً أثرياً لقواعد الكنائس اليهودية التى تحرم التصوير ، وما كانت صوره هذه المحرمة بعظيمة الخطورة لدارسى تاريخ الشريعة فحسب ، إذ هى لدارسى تاريخ الفن أعظم خطراً ، وأبلغ لعمرى أثراً

دمشق

عز الدين التنوخى
كاتب سر المجمع العلمى العربى

١٦ ـ قصة المكروب
كيف كشفه رجاله
ترجمة الدكتور احمد زكى
وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur

صلة حديثه

وذهب « جرنيه » إلى الشمال يدرس دود القز فى مدينة فالنسين Valenciennes ، فكتب اليه بستور أن يعيد إجراء التجربة الفائتة . سأله هذا ولمْ يدرِ لمَ سأله ، وكان جرنيه قد حصل على مجموعة طيبة من الدود السليم ، وكان يعتقد على الرغم من تشكك أستاذه أن تلك الكريات التى فى باطن الدوَد ليست سوى أحياء تتطفل عليه فتقتله . فأخذ أربعين دودة سليمة وغذاها بأوراق من التوت لم يمسها أبداً دود مريض ، فخرج من هذه الأربعين سبع وعشرون دودة نسجت سبعاً وعشرين شرنقة . وخرج الفراش من الشرانق خِلْواً من الكريات ، فعندئذ عمد إلى فراشات مريضة فسحقها ولوّث بسحيقها أوراقاً من التوت ، وغذّى بهذه الأوراق دُويدات سليمة صغيرة ، عمرها يوم واحد ، فلم تلبث هذه الدُويدات أن مرضت وهزلت وماتت موتة بطيئة . وتغطّى جلدها بالبقع السوداء ، وامتلأ جسمها بكريات الداء . وبعد هذا لوّث أوراقاً أخرى بسحيق الفَراش المريض وغذّى بها دوداً سليماً نامياً بالغاً كان على وشك أن ينسج الشرانق . فهذا الدود عاش حتى أتم نسج ثوبه الحريرى ، ولكنه لما استحال إلى فراش خرج هذا الفراش وبجسمه الكُريات اللعينة ، وباض فكان البيض فاسداً . فسرّ « جرنيه » وثار ، وزاد سروره وزادت ثورته فى الليالى التى أكب فيها على مكرسكوبه كلما رأى هذه الكريات تزيد فى الدود كلما زاد انضاراً وقارب الفناء

وأسرع « جرنيه » الى بستور يصرخ له : « حُلّت المسألة ! فهذه الكُريّات حيّة ! إنها طفيليّات ، وهى التى تُمرض الدود ! »

واستغرق بستور ستة أشهر ليقتنع بمقالة «جرنيه» . ولكنه

لما اقتنع وقع على العمل وقوعاً . وجمع أعضاء اللجنة مرة أخرى وخطب فيهم : « إن الكُريّات التي بالدود ليست عرضاً من أعراض الداء فحسب ، بل هي سببه ، وهذه الكُريات حيّة ، وهي تتزايد ، وهي تسير في جسم الفراش المريض اغتصاباً حتى تَعمّ نواحيه . وإنما كان خطأنا الأول لأننا طلبنا هذه الكريات في جزء صغير من جسم الفراش فنظرنا تحت جلد البطن وحده ، أما الآن فلا بد من سحق الفراش كله وفحصه من بعد ذلك ، فاذا نظرنا بالمجهر إلى سحيقه فلم نجد به تلك الكُريات المجهريّة حكمنا بسلامته واتخذنا بيضه للتفريخ في الربيع المقبل »

وتفرق رجال اللجنة واتبعوا تعاليم بستور فنجحت التجربة ، ودار العام فأفرخ البيض دودا صحيحا قوياً نامياً أعطاهم غلّة من الحرير وافرة

استيقن بستور الآن أن هذه الكريات الطفيلية سبب الداء وأنها لاتنشأ داخل الدود ، وإنما تأتيه من الخارج . فطاف في الريف يعلم الناس كيف يمنعون نسل الدود السليم من أن يمس أوراقاً مسها دود سقيم ، وبينا هو في هذا أصابه نزيف في المخ فكاد يموت . ولكنه سمع أنهم أوقفوا بناء معمله الجديد اقتصادا وفي انتظار موته ، فأغضبه ذلك وأصر على أن يعيش . وشُلّ أحد نصفيه شللا لم يشف منه تماما في مستقبل أيامه ، ولكنه قرأ كتاب الدكتور « سمايلز » في الاعتداد بالنفس ، فاعتزم اعتزاماً قوياً أن يعمل على الرغم من عجزه ؛ فبدل أن يرقد في فراشه ، أو يستشفي على البحر ، نهض في عسر على قدميه ، وحجَل إلى القطار ، وسافر إلى جنوب فرنسا وهو يصيح غاضباً : « إن من الاجرام القعود عن تخليص الدود من الوباء ، بينا الكثير من أربابه يطلبون القوت فلا يجدونه » فأعجب به الفرنسيون وأكبروه إلا نفراً قليلاً يحبون الأذى ؛ فهؤلاء قالوا : إنما هي صيحة قصد بها الدعاية لنفسه لا خير الناس

وقضى بستور ست سنوات يجاهد أدواء هذا الدود المسكين ، فانه لم ينته من علاج ندوته حتى ظهر به مرض جديد ، ولكن بستور كان قد دَرِب على هذا النوع من البحث فكشف عن مكروب الداء سريعاً ، وجاءه دوماس الشيخ يشكره وقد امتلأت عيناه بالدموع . وتحدث عمدة « ألياس » عن اقامة تمثال من الذهب لبستور العظيم

— ٧ —

وبلغت سنّه الخامسة والأربعين ، فأخذ يَنْعم حيناً بالمجد الذي كسبه من تخليص صناعة الحرير مما حاق بها ، وذلك بعون الله وعون « جرنيه » . ثم رفع عينيه الى مجد أسمى ، وأمل أسنى ، وحُلُم مستحيل برّاق ، حُلُم من تلك الأحلام التي ارتأتها نفسه الشاعرة ، حلم من تلك الأحلام المستحيلة التي قد لاتضن الأقدار بمحض تحقيقها أحياناً ؛ نعم رفع عينه الفنّانة من أمراض الديدان إلى أحزان الانسان ، ونفخ في البوق نفخة داوية يبشر المرضى البائسين بقرب بلوغ دار الأمان ، قال : « إن في مقدور الانسان أن يمسح عن وجه الأرض كل الأدواء التي يسببها تطفل الأحياء عليه ، هذا على فرض أن نظرية النشوء التلقائي نظرية باطلة ، وأنا واثق من بطلانها »

وجاء عام ١٨٧٠ بحصار باريس في ذلك الشتاء القارس ، فخرج عنها تاركا أعماله ، تاركا معامله ، وذهب الى قريته القديمة في جبال « الجورا » . ثم ذهب الى ميدان القتال يبحث بين الأشلاء عن جثة ابنه الصريع ، وقد كان جاويشا في الجيش الفرنسي . وعلى هذه الأرض ، وبين هذه الدماء ، نشأ فيه كره للألمان ولكل شيء ألماني أخذ ينمو فيه ثم ينمو ويفيض حتى تشرب به كل عصب من أعصابه ، وبقي معه بقية حياته . واتخذ من أجل ذلك الوطنية صناعة . وأخذ يصرخ في الناس : « لمن كل مؤلف من مؤلفاتي سيطالعكم عنوانه بكراهة بروسيا ، ويناشدكم الثأر والانتقام . » وبسخافة فاخرة بدأ بحثه الأول بفصله للثأر والانتقام . واعترف أن بيرة فرنسا دون بيرة الألمان ، فنهض يبحث ليجعل بيرة فرنسا فوق بيرة الألمان ، بل فوق بيرات الأمم جمعاء

وقام برحلات كثيرة واسعة المدى الى مخامر فرنسا الشهيرة ، وأخذ يُلقي الأسئلة الى كل من يَلْقَى فيها ، من رئيس الخامرين في معمله ، الى غسّال الأواني البسيط في مَغْسله . وذهب الى انجلترا فأسدى النصائح الى الرجال الفنّانين ذوي الوجوه الحمر الذين يَحذِقون صنع النبيذ الانجليزي ، والى الخامرين الذين يخرجون تلك الجعات القدسية بمدينة بِرْتُن Burton . وحرّر مجهرَه الى الألوف من البيرات ، ورقب الخمائر وهي تتقسم وتصنع الكحول . وكان يقع أحياناً فيها على هذا الحُسَيّ اللعين الذي وجده فيها أعواماً مضى وأثبت أنه سبب فسادها ، وكان ينصح

لأصحابها بتسخين البيرة لقتل هذه الحيَّات ، ويؤكد لهم أنهم لو فعلوا إذن لزادت بيرتهم جودة وطابت مذاقا ، واذن لاستطاعوا تسفيرها مسافات بعيدة وهى صالحة . وكان يسأل أصحاب المخامر مالاً لمعمله ، ويذكر لهم أن ما يجودون به اليوم يعود عليهم بالنفع فى الغد أضعافاً مضاعفة . وبهذا المال قلب معمله بمدرسة الترمال إلى مصنع علمىّ صغير للبيرة ، لمعت فيه البراميل النحاسية الجميلة ، ووهجت الغلايات الصقيلة

وبدأ عملاً مجهداً متواصلاً ، ولكنه لم يلبث أن سئمه ، لأنه كان يكره طعم البيرة كما يكره رائحة الطُبَّاق . وزاده منه سأماً أنه وجد أن الباحث العالم فى البيرة لابد له من أن يكون ذوّاقاً حكيما لها . ووجد كذلك أن البيرة الجيدة تحتاج فى صناعتها إلى أمور أخرى غير منع المكروب من دخولها . وكان لعلم الفيزياء أستاذ يدعى برتان Bertin ، كاد يضحك من بستور لكراهته إياها . كان بستور كلما أراد مذاقها جمّد من أنفه الأفطس ، وغاص بشاربه فى كوزها الراغى ، وبلع فى عسر وكآبة ماتحتم بلعه من جرعاتها . كره البيرة مافسد منها وما طاب . أما صديقه الفيزيائى فكان يلعق شفتيه بعد شربها ويصفقهما ، ويتهلّل وجهه بشرا وتمتلئ أساريره خبثاً وهو يضاحك بستور فيها ، لأنها بيرة ذاقها بستور فحكم عليها بالفساد . حتى لضحك منه مساعده الشاب ، ولكنه لم يجرؤ بالطبع أن يضحك فى وجهه . مسكين بستور ! كان بحاثاً قديراً ، ولم يكن فيه جمود ، ولم يكن فيه ركود ، وكان سريع التحوّل ، سريع التشكل للظروف ، سريع الألفة لكل جديد — إلا البيرة . لحب البيرة كأنه يخلق ولا يكتسب . واللسان الذوّاق للبيرة تجود به الطبيعة على قليل من الناس ، كالأذن الموسيقية ليست متاعاً لكل أحد

ومع هذا فلست أنكر أن بستور أعان صناعة البيرة الفرنسية إعانة كبيرة ، وقد شهد بهذا الخمارون أنفسهم ، أما الذى أتشكك فيه فهو الذى يقول به أحبابه ومريدوه وعُباده من أنه رفع البيرة الفرنسية فجعلها ندّ الألمانية . على أنى لا أنكر ذلك عليه ، ولكنى أود لو عُرضت هذه الدعوى على لجنة تحكيم من تلك اللجان العادلة الدولية الوقورة ، من تلك اللجان الذى كان بستور نفسه يقترح على الدنيا أن تلجأ اليها كلما أزمته خصومة لتقضى له أو لخصمائه اللعينين . . .

(يتبع)

أحمد زكى

٢٥ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون او خلود الروح

ترجمة الاستاذ زكى نجيب محمود

ـ كذلك كلما ازدادت البرودة على النار فاما أن تتراجع أو تفنى وإذ تكون النار تحت تأثير البرودة ، فلن يلبثا ناراً وبرودة ، كما كانت الحال من قبل

قال : هذا حق

ـ وفى بعض الحالات لا يكون اسم المثال (Idea) مقصوراً على المثال ، بل إن لكل شىء آخر حق المشاركة فى الاسم ، ما دام موجوداً فى صورة المثال ، من غير أن يكون هو المثال ، وسأسوق إليك مثلا لعلى أوضح هذا القول : أليس يطلق دائماً اسم الفردى على العدد الفردى ؟

ـ جد صحيح

ـ ولكن هل هذا وحده هو الشىء الذى يسمى بالفردى ؟ أليس ثمت أشياء أخرى لها أسماؤها الخاصة بها ، ويطلق عليها رغم ذلك اسم الضرورى ، لأنها وإن كانت ليست هى الفردية ذاتها ، غير أنها لاتخلو من الفردية قطعاً ؟ ـ هذا ما أريد أن أستجيب عنه ـ أليست الأعداد ، كرقم ثلاثة مثلاً ، من نوع الفردى : وهناك غير هذا كثير من الأمثلة : ألست تقول مثلاً إنه يجوز أن يدعى رقم الثلاثة باسمه الأصلى ، ثم يطلق عليه كذلك اسم الفردى ، وليس الفردى هو الثلاثة ذاتها ؟ وليس يقال هذا عن العدد ثلاثة فقط ، بل إنه جائز أيضاً على خمسة ، وعلى كل الأعداد المتعاقبة ـ كل منها فردى دون أن يكون هو الفردية ؛ وهكذا قل فى اثنين وأربعة وسائر سلسلة الأعداد المتعاقبة ، كل عدد زوجىّ دون أن يكون هو الزوجية : هل تسلم بهذا ؟

قال : نعم ، وهل إلى انكاره من سبيل ؟

ـ ألق بالك إذن إلى الغاية التى أنشدها ؛ ليست الأضداد المعنوية وحدها هى التى يطرد بعضها بعضاً ، بل كذلك الأشياء المجسدة التى وإن لم تكن متضادة فى ذاتها إلا أنها تحتوى أضداداً ؛